الفصل الثاني: احتياجات صناعة حرب اللاعنف

obeikandl.com

إذا كانت الحاجة ملحة إلى التطوير والتجديد في أسلحة وتكنولوجيا حرب اللاعنف – كما أوضحنا في الفصل السابق، فما السبيل العملي لإحداث هذا التطوير؟

لقد تطورت – ولا تزال – أسلحة الفعل العسكري بشكل كبير، وتراكمت الخبرة البشرية في مجال الحروب العسكرية، وأصبح لكل سلاح دراساته الأكاديمية المتخصصة، فنجد دراسات في سلاح الطيران، وأخرى في البحرية، وأخرى في سلاح المشاة. حتى أن لكل واحدة من هذه الأسلحة كليتها الخاصة بها.

والحال مشابه في حرب اللاعنف، فمن أجل أن تتطور المقاومة اللاعنيفة إلى فعل احترافي لابد أن توجد مرتكزات تقوم عليها صناعة أسلحة حرب اللاعنف، ووحدات متخصصة تعمل على تطوير الأسلحة.

وحدات صناعة أسلحة حرب اللاعنف

وتتكون كل وحدة من خمسة مكونات:

المؤسسات البحثية: التي تطور الدراسات الخاصة بحرب اللاعنف وأدواتها، سواء على المستوى الفلسفي أو الاستراتيجي أو التكتيكي.

المعامل والمختبرات: التي تطور الجانب التكنولوجي.

المصانع: التي تعمل على تصنيع وتطوير التكنولوجيا المتعلقة بها.

الأكاديميات: التي تدرس الجوانب الفكرية والعملية وتدرب النشطاء على الأساليب والتكنولوجيا الجديدة.

المؤسسات المالية: الداعمة لهذه الصناعة، فأغلب العلماء والباحثين يعملون للحكومات لأنها تدفع لهم مقابلاً، وقليل منهم مهتم بعمل الدراسات والبحوث عن اللاعنف، وأغلب النابهين

obeikandl.com

تستقطبهم المؤسسات العسكرية بشكل مباشر أو غير مباشر، وخمسون بالمائة منهم يعملون في الصناعات العسكرية، لتطوير وسائل التدمير والقمع،[1]

وغالباً ما تكون هذه الوحدات متخصصة، فقد تتخصص وحدة أو مجموعة وحدات في تطوير سلاح التظاهرات، وتسجيل الخبرة التاريخية في ممارساتها حول العالم، ووضع استراتيجيات وتكتيكات للتغلب على تحدياتها كالقمع المضاد لها، وتطوير التكنولوجيا الخاصة بها. وقد تتخصص مجموعة أخرى في الإضرابات، وثالثة في فن الكتابة على الجدران، ورابعة في المقاومة الإلكترونية وهكذا. فتسخر مراكز دراساتها ومعاملها ومصانعها وأكاديميتها فقط من أجل تطوير هذا النوع من الصناعة والتدريب على طرق استخدامه الفعالة.

أنواع الوحدات

ويمكن تقسيم هذه الوحدات باعتبار المكان إلى:

وحدات محلية: في نفس المجتمع الذي يدور فيه الصراع.

وحدات عالمية: عابرة للحدود تتواجد حيث يوجد المناخ السياسي الحر. وتقدم خدماتها إلى البشرية قاطبة.

مهام الوحدات

تتحدد مهام كل وحدة متخصصة من تلك الوحدات في:

- القيام بالدراسات العلمية المتعلقة بالوسيلة من خلال مراكز الدراسات المرتبطة بها.
- التواصل مع المؤسسات والخبرات العالمية المتعلقة بالوسيلة.
- إصدار نشرات وكتيبات وأفلام حول أحدث التقنيات المستخدمة عالمياً.

[1] Martin, Brain (2001): Technology for Nonviolent Struggle, London, War Resisters' International, P.16.

openkanal.com

- تدريب النشطاء وإقامة المناورات التدريبية لاختبار فاعلية الوسائل. فقد يتم الترتيب لحملات هدفها الأساسي اختبار الوسيلة[1].
- تطوير الوسيلة وكيفية استخدامها وحمايتها بما يتناسب مع ظروف المجتمع، ودراسة تطور استراتيجيات وتكتيكات تعامل الخصم معها من أجل صقل الوسيلة، وتسجيل تلك الخبرة ليستفيد منها المجتمع المحلي والعالمي.
- تحديد معايير الجودة المتعلقة باستخدام الوسيلة، بحيث يمكن تقويم استخدام أي مجموعة من النشطاء للوسيلة.
- توفير دليل إرشادي يتطور باستمرار حول الاستخدام الأنسب للوسائل في ظل حالة كل مجتمع وخصوصياته. وأفضل الوسائل التي يمكن استخدامها معاً والدمج بينها وتحديد الحالات المناسبة لذلك.[2]

وبهذا تقوم هذه المصانع التي لا تحدها حدود جغرافية على التطوير الدائم لأسلحة حرب اللاعنف.

[1] يؤدي هذا الأمر إلى تحول المقاومة من ردرود الأفعال إلى الأفعال الاستباقية المحدد هدفها بدقة، وإلى مقاومة تحسن استثمار الفرص، فقد تنتظر أي حدث يمكنها من القيام بنشاط بهدف تجربة التقنية ومدى تفاعل الجمهور معها وفاعليتها ورد الفعل عليها من قبل الخصم، فالمقاومة هي التي تحدد زمان ومكان وسقف الفعل. وهي تستمتع باختبار تقنياتها الجديدة.

[2] عادة ما تعمل على أرض الواقع أكثر من وسيلة في نفس الوقت، كما ترتبط بعض الوسائل ببعضها، فعلى سبيل المثال نجد أن أغلب الأنشطة تتطلب نشاطاً إعلامياً مسانداً. فتظاهرة بدون إعلام لن يُسمع لها صوت، وإضراب بدون إعلام تأثيره محدود. وإذا أخذنا مثلاً وسيلة احتلال المباني بدون عنف أو شل المدينة، فإن التبعات المتوقعة لها أن تعمل الآلة القمعية على سحق المقاومة، وربما تستخدم بعض الإجراءات الأخرى كإشعال النيران في بعض المباني لاتهام المقاومة بالتخريب والعنف، حينها سيلجأ المقاومون إلى وسائل تجهض ممارسات الخصم، ليس مطلوب إذن أن يجيد المقاومون فقط فن احتلال المباني، بل عليهم أن يتعلموا أيضاً فن إجهاض عمليات التخريب التي يمارسها الخصم. لذلك يضع مطورو أسلحة اللاعنف في حسبانهم أنهم قد يعملون على تطوير حزمة من الوسائل التي تعمل جنباً إلى جنب بشكل مباشر.

كذلك قد تختلف طريقة استخدام الوسيلة بحسب الوسيلة المصاحبة لها، فمثلاً يتطلب القيام بتغطية إعلامية لتظاهرة استعدادات إعلامية تختلف عن تغطية نشاط إطفاء الأنوار في المدينة، أو حملة الإمتناع عن الطعام في المعتقلات.

العاملون في الوحدات

وينقسم العاملون في هذه الوحدات إلى:

باحثون وعلماء: يحسنون الرصد والتحليل والعمل البحثي وصياغة النظريات. وتشمل تخصصاتهم كل المجالات، كالعلوم الإنسانية، والطب، والفيزياء، والكيمياء ، الخ.

استراتيجيون: يحسنون تثبيت أقدام النظريات كي تتحرك على أرض الواقع، فيضعون أفضل التصورات حول سبل تطبيق النظرية، وتجربتها على أرض الواقع.

تقنيون: يطورون الأدوات المستخدمة بحسب طبيعة الوسيلة التي يتم تطويرها، كصناعة خوذة لحماية الرأس، أو قناع لتنفس الهواء النقي في حالة مواجهة القنابل المسيلة للدموع، أو درع لحماية الجسم في حالة المواجهة الجسدية لقوات القمع في التظاهرات.

تنفيذيون: يجيدون التنفيذ الميداني على أرض الواقع (ممارسون)، ويُعَول عليهم في وضع الوسيلة في بوتقة التجربة الميدانية. وهؤلاء هم الذين يتخرجون من الأكاديميات المتخصصة.

obeikandl.com

فوائد إنشاء الوحدات المتخصصة

التركيز: فالتخصص يعني التركيز في مجال محدد، والدقة في الإنتاج، والانتباه إلى أدق التفصيلات الخاصة بالمنتجات المتعلقة بالوسيلة، والغوص في أعماقها والمحاولات المستمرة للتطوير والتحسين.

المرجعية: كما يخلق التخصص في المجتمعات مرجعية لكل وسيلة أو مجموعة وسائل، بحيث يمكن الرجوع إليها في الاستشارات، كما يشارك المستخدمون في تقييمها، وإرسال مقترحات التطوير للقائمين عل التصنيع.

وقاية العمل العلمي والتجريبي: من التعرض القمعي، فيمكن لمجموعة – في بلد ديكتاتوري–أن تؤسس مشروعاً علمياً وتجريبياً لسلاح المقاطعة، لكنها إن دمجت معه مثلاً أحد أسلحة التدخل المباشر فإنها بذلك تعرض كل العمل للخطر. فتنوع المصانع ومعامل البحث يؤدي إلى توزيع احتمال التعرض للخطر على أكثر من جهة.

وأخيراً فإن وجود مثل هذه الوحدات المحلية والعالمية المتخصصة يعني أن تضع المجتمعات أقدامها على طريق المقاومة المحترفة، وأن تتوفر للبشرية أرصدة ضخمة من الخبرات والدراسات العلمية. لتتسارع بقوة موجة تطوير أسلحة المقاومة عالمياً[1]، ولا نبالغ إذ نقول إنها بحق إحدى الصناعات الثقيلة التي تُعَجِّل بنهضة أي مجتمع.

[1] في حالة الدول التي تحكمها ديكتاتوريات لا تسمح بمثل هذه الصناعة يمكن تأسيس هذه المصانع في أية بقعة في العالم، وتسهم ثورة الاتصالات اليوم في جعل الأرض كلها ميداناً للفعل لكل من يسعى للتغيير.

obeikandi.com

obeikandl.com

الخاتمة

إننا نسعى بطرحنا في هذا الكتاب "حرب اللاعنف ...الخيار الثالث" إلى فتح آفاق جديدة على بدائل واقعية يمكن استخدامها في معركة التغيير، فلا يكفي للانتصار في معركة الحرية مجرد الدفاع عن الأهداف بقوة وصلابة لفترة طويلة دون تحويلها إلى واقع عملي، فترديد الأهداف لا يعني تغيير الأوضاع القائمة، بل لابد من وجود مسار واضح وفعال.

ولا تعتبر حرب اللاعنف ضماناً للنجاح، بالضبط مثلما لا يعد استخدام العنف ضماناً له، فحرب اللاعنف ليست طقوساً أو تعاويذ تتلى، بل تتشابه مع الحروب العسكرية في احتياجها إلى استراتيجيات وتكتيكات وحسن إدارة للصراع وحشد للموارد، ولا توجد ضمانات بنصر محقق قصير الأجل، لأنها لا تختلف عن الحروب العسكرية التي بدورها لا تضمن النصر المحقق. "فهناك مستلزمات يحتاجها هذا الأسلوب لتحقيق النجاح، كما أن هناك مستلزمات يحتاجها أسلوب العنف لتحقيق النجاح، ومجرد الإحجام عن استخدام العنف وترديد كلمة "اللاعنف" لا يكفي لتحقيق النتائج المرجوة."[1] فإذا لم تهتم حركة اللاعنف بالتدريب واختيار الاستراتيجيات المناسبة، فإن انتصارها سيكون بعيد المنال.

وبالنظر إلى التجارب التاريخية سنجد العديد من تجارب الكفاح اللاعنيف فشلت في تحقيق أهدافها، وأخرى نجحت في تحقيق إنجازات محدودة، وأخرى حققت إنجازات كلية، "وفي بعض الحالات لم يدم الانتصار طويلاً لأن الناس لم يستخدموا هذا الأسلوب لتعزيز ومأسسة مكتسباتهم، أو لأنهم لم يقاوموا بفاعلية التهديدات الجديدة بشأن حرياتهم، وفي بعض الحالات حققت بعض الحملات نجاحات جزئية، وهو ما كان يتطلب المزيد من الحملات لتحقيق الأهداف الكاملة."[2]

[1] البدائل الحقيقية، جين شارب.

[2] البدائل الحقيقية، جين شارب.

obeikandl.com

وحتى يؤتي هذا الأسلوب ثماره ينبغي نشر الوعي به، وتجاوز القشور عن فكرة اللاعنف إلى صلب الفلسفة للتمييز بين حرب اللاعنف والأساليب السلمية الأخرى، وينبغي كذلك بذل جهد كبير في محاولة جمع المتناثر عن هذا الموضوع وبلورته في إطار كلي متماسك، حيث تتناثر مفردات هذه الحرب في ملاحم التاريخ، مثل قصص الرومان وهم يستخدمون هذا الأسلوب، ليختزل في أنه الامتناع عن دفع الضرائب مثلاً، مما يجعل من الصعوبة على الفرد البسيط أن يكون إطاراً حقيقياً لحرب اللاعنف فضلاً عن المثقف. لذلك تحتاج حرب اللاعنف إلى رعاية فكرية وحركة ترجمة وتأليف لتتحول تماماً إلى دراسات أكاديمية مثلها مثل العلوم العسكرية.

وتعد إسهامات أكاديمية التغيير في هذا الصدد محاولة لتكوين صورة متماسكة عن هذا الأسلوب عبر كتابات ممنهجة، وبلورته في شكل يسهل فهمه، عبر الكتب المتخصصة في الفلسفة والاستراتيجيات المتعلقة بهذا الأسلوب.

وأخيراً.. فإن هذا الكلام سيجد قريباً صداه بإذن الله، فالتفاح كان يتساقط من الأشجار منذ قرون، حتى انتبه نيوتن واكتشف بسقوط تفاحة قانون الجاذبية، وكانت العبودية مقبولة لعدة قرون كحق وعرف اجتماعي، حتى تغيرت هذه النظرة، ولاشك ستتغير نظرة الحيارى بين خياري الاستسلام والعنف، عندما يدركون روعة هذا الأسلوب وفاعليته.[1]

[1] تحققت بفعل سواعد الشباب العربي هذه النبوءة التي ختمنا ها الطبعة الأولى عام 2007.

operikanal.com